

دراسة تحليلية لشبهات الواردة على مترادفات القرآن الكريم

An Analytical Study of the Doubts Contained in the Synonyms in the Words of the Holy Qur'ān

Jamil Ahmad

Ph.D Research Scholar, Department of Islamic Studies, the Islamia University of Bahawalpur, Pakistan

Dr. Muhammad Khubaib

Assistant Professor, Department of Islamic Studies, the Islamia University of Bahawalpur, Pakistan

Email: muhammad.khubaib@iub.edu.pkORCID: <https://orcid.org/0000-0003-2075-566>

Received on: 27-05-2022

Accepted on: 25-06-2022

Abstract

Islam is the complete code of life. The Prophet (PBUH) and his companions made every effort to safeguard it. They handed it over in fully preserved form without any flaw to their true followers. However, adversaries of Islam have been trying to find faults with safety of Qur'ān and the life of Prophet (PBUH). Orientalists are among them. Orientalists are those non-Muslim scholars, who do their research about Muslim's beliefs, culture and values. Their purpose is to double edge. First to create doubts in the minds of Muslims regarding their religion. Secondly to marsh hated in the hearts and minds of non-believers. This is why these prejudiced scholars criticize Qur'ān and the personal life of Prophet (PBUH). In the following discussion we have analyzed these objections in detail regarding the safeguard of the Holy Qur'ān during the time of Muhammad (PBUH). In this article, it has been endeavored to analyze the usage of synonyms in the Qur'ān, their logic and reasons. When we read the Qur'ān words, there seems no any synonymic word but when we focus deeply, we find numberless words which have the similar meanings clearly or metaphorically in the Qur'ān. In the Qur'ān, each word has a specific meaning in its usage.

Keywords: Holy Qur'ān, Holy Prophet (PBUH), Synonyms, Orientalists, Refutation of Doubts.

الْمُلَخَّصُ

كَانَ مَبْحَثُ التَّرَادُفِ أَحَدَ الْمَوْضُوعَاتِ الَّتِي يَتَنَاوَلُهَا هَذَا الدَّرْسُ بِالْبَحْثِ وَالِدِّرَاسَةِ وَالتَّحْلِيلِ، فَوَقَّعْتُ عَلَى الْكَثِيرِ مِنْ مَلَائِسَاتِهِ أُتْنَاءَ ذَلِكَ، وَتَوَقَّعْتُ عِلَاقَتِي بِهِ أَكْثَرَ مِنْ ذِي قَبْلِ، خَاصَّةً وَانَّهُ كَانَ عَلَيَّ أَنْ أُخَوِّضَ الْبَحْثَ فِيهِ كَلَّمَا بَلَغَ بِنَا الْمَطَافِ إِلَى خِصَائِصِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَمُمَيِّزَاتِهَا حَيْثُ كُنْتُ أَعِدُّهُ سَمَةً فِيهَا وَدَلِيلًا عَلَى غِنَى الْعَرَبِيَّةِ وَسَعَتِهَا. وَهَذَا الْبَابُ الَّذِي تَنَاوَلْتُ فِيهِ مَوْضُوعَ "دراسة تحليلية لشبهات الواردة على مترادفات القرآن الكريم"، وَالَّتِي يَحْسِبُ أَكْثَرُ النَّاسِ أَنَّهَا مُتَسَاوِيَةٌ فِي إِفَادَةِ بَيَانِ مَرَادِ الْمَخَاطَبِ، مُشِيرًا إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْقُرْآنِيَّةِ: كَالْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ، وَابْتِحَالِ وَالشَّحِّ، قَائِلًا: وَالْأَمْرُ فِيهَا وَفِي

تَرْتِيْبَهَا عِنْدَ عُلَمَاءِ اللُّغَةِ بِخِلَافِ ذَلِكَ، لَانِ لِكُلِّ لَفْظَةٍ مِنْهَا حَاصِيَةٌ تَمَمِّيْرُ بِهَا عِنْدَ صَاحِبَتِهَا فِي بَعْضِ مَعَانِيهَا، وَأَنْ كَانَا قَدْ يَشْتَرِكَانِ فِي بَعْضِهَا وَعَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ اخْتِلَافَ لُغَاتِ الْعَرَبِ يُفَسِّرُ وَقُوعَ هَذَا التَّرَادُفِ، فَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ وَحْدَةِ الْمَفْهُومِ، فَقَدْ اخْتَلَفَ اللَّفْظَانِ الدَّالَّانِ عَلَيْهِ لَدَى أَهْلِ الْحِجَازِ وَغَيْرِهِمْ، مِمَّا أَدْعَى إِلَى وَقُوعِ التَّرَادُفِ-

المقدمة

الْبَلَاغَةُ الْعَرَبِيَّةُ إِحْدَى الْعُلُومِ الْقَائِمَةِ بِدَاتِهَا، وَقَدْ اشْتَقَّتْ الْكَلِمَةُ مِنَ الْفِعْلِ "بَلَغَ"، وَيَعْنِي إِذْرَاكَ الْعَايَةَ وَالْوَصُولَ إِلَى النَّهَائِيَّةِ، وَتَنْقَسِمُ الْبَلَاغَةُ الْعَرَبِيَّةُ إِلَى قِسْمَيْنِ: عِلْمُ الْمَعَانِي وَهُوَ مُخْتَصٌّ بِاخْتِيَارِ الْمَعَانِي وَالْأَفْكَارِ وَاخْتِيَارِ التَّرَاكِيْبِ اللَّغَوِيَّةِ الْمُنَاسِبَةِ لِلْمَوْقِفِ، وَعِلْمُ الْبَدِيعِ الَّذِي يَخْتَصُّ بِعَنَاصِرِ الصِّيَاغَةِ، فَهُوَ يَهْتَمُّ بِتَنْسِيقِ الْكَلَامِ حَتَّى يَكُونَ بَدِيعًا. فَاخْتَوَتْ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ عَلَى الْعَدِيدِ مِنَ الْعِبَارَاتِ الْبَلِيغَةِ وَالْفَصِيحَةِ وَأَنْوَاعِ شَيْءٍ مِنَ الْأَسَالِبِ الْبَلَاغِيَّةِ وَالتَّرَاكِيْبِ اللَّغَوِيَّةِ الَّتِي فَقَدَا اللُّغَاتُ الْأُخْرَى. وَمِنْ أَهْمِهَا التَّرَادُفُ اللَّغَوِيُّ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ. فَالتَّرَادُفُ قَضِيَّةٌ لُغَوِيَّةٌ دَلَالِيَّةٌ مُوجُودَةٌ فِي سَائِرِ اللُّغَاتِ وَلَكِنْ دَارِخِلَافَ بَيْنَ التَّحْوِيلَيْنِ وَعُلَمَاءِ اللُّغَةِ وَالْمُفَسِّرِينَظَر لارتباط هذا الموضوع بعُلُومِ التَّفْسِيرِ قَدِيمًا وَاحْتِدَمَ حَدِيثًا حَوْلَ وُجُودِهِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ-فَكُلُّ لَفْظَةٍ مِنْ أَلْفَاظِهِ مَلِيئَةٌ بِالْبَيَانِ وَالْإِيضَاحِ- فَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ اخْتَوَى عَلَى الْعَدِيدِ مِنَ الْأَسَالِبِ وَالتَّرَاكِيْبِ اللَّغَوِيَّةِ الَّتِي لَا يَزَالُ عُلَمَاءُ اللُّغَةِ فِي الإِحَاطَةِ بِأَسْرَارِهَا وَدَرَاكِهَا وَكَيْشَافِ الْجَدِيدِ عَنْهَا وَقَدْ تَمَيَّزَتْ الْأَلْفَاظُ الْقُرْآنِيَّةُ بِوَضُوحِهَا وَمُنَاسِبَةِ كُلِّ لَفْظَةٍ مِنْهَا لِلْمَوْضُوعِ الَّذِي وَرَدَتْ فِيهِ وَمِنْهَا اسْتِخْدَامُ الْمُتَرَادُفَاتِ فِي مَوَاضِعِهَا الْمُنَاسِبَةِ وَفِي هَذَا الْبَحْثِ نُبَيِّنُ "دراسة تحليلية لشبهات الواردة على مترادفات القرآن الكريم"، وَفِي مَفْهُومِ ذَلِكَ لَا تَرَادُفَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَهُوَ مَا ظَهَرَ وَاضِحًا مِنْ خِلَالِ النَّظْرِ فِي أَصْلِ الْكَلِمَةِ فِي الْمَعَاجِمِ- وَكُلُّ لَفْظَةٍ مِنْ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ اسْتخدمتْ فِي مَوْضِعِهَا الْمُنَاسِبِ لَهَا وَحَيْثُ لَا تَقُومُ أَيْهَ لَفْظَةٍ أُخْرَى مَقَامِهَا- وَالإِحْتِلَاطُ بَيْنَ مَفْهُومِ الْأَلْفَاظِ الْقُرْآنِيَّةِ وَإِعْتَابِهَا مُتَرَادُفَةً هُوَ مِنْ أَهَمِّ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُؤَدِيهِ إِلَى الْأَخْطَاءِ فِي التَّرْجُمَةِ الْأَلْفَاظِ الْقُرْآنِيَّةِ إِلَى اللُّغَاتِ الْأُخْرَى-

أهمية البحث

وَأَهْمِيَّةُ هَذَا الْمَوْضُوعِ "دراسة تحليلية لشبهات الواردة على مترادفات القرآن الكريم"، قَامَ الْعُلَمَاءُ الْمُخْتَصِّصُونَ وَأَهْمَةُ التَّفْسِيرِ بِوَضْعِ تَفَاسِيرٍ خَاصَّةٍ بِمَفْرَدَاتِ الْأَلْفَاظِ، يَرْجِعُ إِلَيْهَا فِي فَهْمِ مَعَانِي الْأَلْفَاظِ الْغَامِضَةِ الْمَعْنَى، مِثْلُ: الْإِسْتِوَاءِ، التَّنَدِّي، الْكَلَالَةِ، الْقُرْءِ، الْمِبَاهَلَةِ، وَاللَّمَمِ- وَمِنَ الْمُبَاحِثِ التَّفْسِيرِيَّةِ الْمَهْمَةِ هُوَ تَفْسِيرُ الْمُتَرَادُفَاتِ- وَفِي مَجَالِ بَحْثِ التَّرَادُفِ فَإِنَّهُ فَرِيقًا مِنْ أَهْمَةِ اللُّغَةِ يَنْتَفُونَ وَجُودَ الْمَرَادِفِ اللَّغَوِيِّ الْمَسَاوِي- إِنَّ الْحَقِيقَةَ التَّحْلِيلِيَّةَ لِلأَلْفَاظِ تُظْهِرُ أَنَّ لَيْسَ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لَفْظَانِ أَوْ أَكْثَرَ لَهَا مَعْنَى وَاحِدًا دُونَ فَرَقٍ بَيْنَهُمَا-

فَالتَّرَادُفُ مِنَ الْأَسْسِ الَّتِي لِأَعْنَى عَنْهَا لِلْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ الْأُخْرَى كَافَةً، كَالْقُرْآنِ وَالْفِئْهُ وَالْأَدَبِ وَغَيْرِهَا، وَلَعَلَّ أَهْمِيَّةَ الْبَحْثِ تَمَكَّنَ فِيمَا اخْتَرْتُهُ مِنْ أَسَاسٍ لِلْجَانِبِ التَّطْبِيقِيِّ أَلَا وَهُوَ: الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ-

سبب اختيار البحث

فَإِنَّ ظُهُورَ الْإِسْلَامِ وَتُرُودَ الْوَحْيِ بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ مَبِينٍ عَلَى نَبِيِّ عَرَبِيٍّ كَرِيمٍ قَدْ أَثَّرَ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ تَأْثِيرًا بَالِغًا- وَاللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ تَنْجَلِي

فيها خصائصٌ تميّزها عن اللغات الأخرى، تكا سبتها من القرآن- وأهتماً مني ووفاءً لهذه اللغة؛ لغة القرآن، فقد خصصتُ بحثي هذا في دراسة قضية "دراسة تحليلية لشبهات الواردة على مترادفات القرآن الكريم"، وما زال البحث قائماً حولها.

الدراساتُ السابقةُ

لا بدّ للباحث أن يذكر أعماله السابقة حول نفس الموضوع لكي ينظم ويربط أجزائه متناسبةً ومتراصةً فإذا ينبغي لي أن أشير إلى تلك العُبرياتِ وأعمالها الشائخة مقتبساً منها وفق ما يلي: هذا علي سبيل المثال لا الحصر والإستقرأ- ألفاظُ الأشباه والنظائر: صورةٌ مُعدّلةٌ عن كتاب الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن محمد بن سعيد الأنباري، تحقيق الدكتور البدر اوي زهران، الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر سنة 1981م-

الألفاظ الكتابية: لعبد الرحمن بن عيسى الهمداني، دار المسلم، القاهرة-

الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى: لأبي الحسن علي بن عيسى الرّماني، تحقيق الدكتور فتح الله صالح علي المصري، الطبعة الثانية 1408هـ 1988م، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة-

الألفاظ المختلفة في المعاني المُؤتلفة: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجيّاني، تحقيق الدكتور محمد حسن عوّاد، دار عمار/ عمان، الأردن، 1989م-

وقد تفتّن العربُ في استعمال الألفاظِ وقد يأتي للمعنى الواحدٍ أكثر من كلمةٍ وهو ما يُطلق عليه الترادفُ في اللغة العربية-

الشبهة لغة

الشبهة في اللغة تأتي لمعان عديدة منها:

قال ابن منظور في لسان العرب:

المعنى الاول: المثل: يقال: اشبه الشيء مائله، وفي المثل: من اشبهاباه فما ظلم، والمشتبهات من الامور الممتاثلات⁽¹⁾

قال ابن منظور في لسان العرب:

"المعنى الثاني: الالتباس، ولبس عليه الامر: خلطه، وفي الامر لبسه، اى: شبهه، يعنى ليس بواضح، ولبس الثوب يلبسه لبساً"⁽²⁾

"وجمع الشبهة: شُبّه وشبهات، مثل غرف وغرفات"⁽³⁾

الاستشراق لغة

الاستشراق: مأخوذ من جهة الشرق- الاستشراق فعله "شرق" يُقال: "شرقت الشمس: طلعت، وبابه نصر ودخل"⁽⁴⁾، وشرق: أخذ في ناحية المشرق، والشرق: الشمس وجهة شروق الشمس، وشجرة شرقية: تطلع عليها الشمس من شروقها إلى نصف النهار"⁽⁵⁾

الاستشراق اصطلاحاً

هو علم يدرس فيه لغات الشرق وتراث وأديان شعوبها وحضارتهم وتاريخهم، وكل ما يتعلق بهم"⁽⁶⁾

وهذا الاسم غلب على تعلم الأوروبيين علوم أهل الشرق- فعليه فالمستشرق في مقصدنا هنا: هو ذاك الأوروبي أو الغربي، الذي اجتهد في تعلم علوم الشرق، وديانة أهلها وحضارتهم-

والاستشراق حركة نبتت في الكنيسة⁽⁷⁾ لهذا تبنى جلّ المستشرقين موقف الكنيسة من الإسلام، وهو العداء له، والكيد له بكل وسيلة ممكنة-

الترادف لغة

قال ابن منظور في لسان العرب:

"الردف ما تبع الشيء، وكلُّ شيءٍ تبع شيئاً فهو ردفُهُ و إذا تتابع شيء خلفُ شيءٍ فهو الرادفُ"⁽⁸⁾
قوله تعالى: بألفٍ من الملائكة مُرَدِّفِينَ⁽⁹⁾

الترادف اصطلاحاً

"أما الترادفُ اصطلاحاً فإنه أطلق مجازاً علي عدة استعمالٍ مجازيةٍ، أشهرها ما تواضع عليه علماءُ فقه اللغة من اطلاقه علي كلمتين أو أكثر تشترك في الدلالة علي معني واحدٍ- لأنّ الكلمات قد تترادف علي المعني الواحد أو المسمي الواحد، كما يترادف الراكبان علي الدابة الواحدة- وعلي هذا فالعلاقة في هذا الاستعمال المجازي هي التشابه"⁽¹⁰⁾

والحاصل: أن مَنْ جعلها مترادفةً يُنظرُ إلى اتحادِ دلالتها على الذاتِ وَمَنْ يَمْنَعُ يُنظرُ إلى إختصاصِ بعضها بمزيد معني فهي تشبه المترادفةً في الذاتِ والمتباينةً في الصفاتِ-

شبهات المستشرقين

إن المستشرقين هم الذين يهتمون بما يحتوي عليه الشرق من علومٍ ومعارفٍ، وثقافاتٍ وميزاتٍ، وسماتٍ حضاريةٍ متنوعةٍ، وقد اختلف كثيرٌ من الباحثين والعلماء في تعريف المستشرقين وذهبوا إلى مذاهبٍ شتى، وأبدوا آراءً متنوعةً عن الاستشراق والمستشرقين، ولعل أحسن تعريف للمستشرقين هو أنهم أبناء اليهود أو النصارى أو غير المسلمين الذين يتجهون صوب الشرق لدراسة حضاراته وأديانه وثقافته ولغته وآدابه؛ لأهدافهم الدينية والسياسية، والاقتصادية والعلمية، والاجتماعية والاستعمارية وغيرها- هم دارسو الإسلام والمسلمين والعرب من غير المسلمين؛ لتنفيذ أهدافهم السرية، خاصة بقصد التشويه في الدين والتشكيك فيه؛ لأن معظم بحوث هذه الفئة ودراساتهم تركزت عليها، وهنا نذكر الاعتراضات التي قدمها المستشرقون ضد القرآن الكريم، ثم نرد عليها جواباً لهم- في هذا المقالة نذكر عشر شبهات مع الأجوبة الدمغة:

وإذا كنا ننكر على غير ذوي الاختصاص من أهل اللغة أن يخوضوا فيما لم يعرفوا من أسرار القرآن وبلاغته ، فلنحن أشد إنكاراً على أولئك المستشرقين الذين عدموا الذوق العربي والحس اللغوي، وإشراق الروح وصفاء النفس أن يقحموا أنفسهم في ميدان ليسوا من فرسانه وأهله ليخرجوا على الناس بآراء في قمة الغرابة في إعجاز القرآن الكريم وفي الأسلوب القرآني البديع- والآن سأعرض لمجمل شبههم التي ارتكزوا عليها في إبطال قضية إعجاز القرآن الكريم من خلال ما ذكر (سال) في هذه القضية في كتابه (أسرار عن القرآن)-

الشبهة عن تعارض القرآن

زعم (سال) أن القرآن فيه كلام متعارض مما يدل على أنه ليس من عند الله سبحانه في شيء لأن الله لا يعارض نفسه، ولا ينقض بعض كلامه بعضا، ومصنف القرآن نفسه يقول عن كتابه أنه لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ونحن نجد فيه اختلافا كثيرا مما يدل أنه ليس من عند الله-(11)

جاء القرآن الكريم معجزة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليشهد على صدقه وصحة نبوته لذا اشتمل القرآن الكريم على ثلاثة أمور دالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم:

١ . فصاحته-

٢ . اشتماله على الإخبار عن الغيوب-

٣ . سلامته عن الاختلاف-(12)

قال تعالى :

"أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا"(13)

فمن تدبر القرآن الكريم وجدته سليما من الاختلاف، لا منافاة ولا مناقضة بين شيء من آياته ومعانيه البتة مع أنه كتاب كبير مشتمل على كثير من المعاني على نفس الرتبة من الفصاحة لا فرق بين مكيه ومدنيه، ولا آيات عقائده أو آيات تشريعاته-

"فلما كان هذا القرآن نسجا واحدا في فصاحته، وبلاغته، ونظمه، وكان كله بالغا حد الإعجاز علم أنه ليس إلا من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره، عالم بما لا يعلمه أحد سواه، وهو الله سبحانه وتعالى"(14)

وعدم وقوف بعض الناس على هذا الجانب في كتاب الله سبحانه عائد لعجزهم وضعفهم وقصور علمهم لا لضعف في كتاب الله ، ولا تدافع وتناقض في آياته-

وعلى رأس هؤلاء الذين أعجزتهم فصاحته، وغلبت أفهامهم بلاغته، وأبهرهم حسن نظمه ومعانيه، المبشرون والمستشرقون، من أجل ذلك نسبوا له التناقض والتدافع والتعارض بين آياته ليدفعوا جانب الإعجاز فيه فبدلوا وسعهم في الاستدلال على زعمهم بأدلة لم يفهموا معانيها ولم يقدرها على الجمع بين آياتها وسأبين وجه الصواب فيها-

قال الله تعالى في سورة النحل عن القرآن:

"إِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ"(15)

والمبين ما لا يحتاج إلى تأويل-

"فنقض ذلك بقوله في سورة آل عمران"(16)

"أنه فيه آيات متشابهات وأنه لا يعلم تأويله إلا الله"(17)

الآيتان ليس بينهما تناقض فالآيات قسمان :

وهو البين والواضح الذي لا يحتمل تأويلا وهذا يؤيده آية النحل السابقة-

وهو الذي يحتمل أكثر من وجه وهذا الذي يخفى على كثير من الناس ولا يعلم تأويله إلا العالمون- ويؤيده آية آل عمران قال تعالى :

"هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ"

فالحكمة اقتضت أن تكون آيات الكتاب قسمين ، قسم يفهمه عامة الناس ، وقسم لا يفهمه إلا العالمون- والحكمة في تنزيل المتشابه من الآيات لإظهار فضل العلم والعلماء ومن أجل التنافس في تعلم كتاب الله عزوجل وابتلاء واختبارا لإيمان الناس-

"فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ"

وأما العالمون المؤمنون به "يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا"

قال الإمام الزمخشري:

"فإن قلت فهلا كان القرآن كله محكما؟ قلت لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة مأخذه، ولأعرضوا عما يحتاجون فيه إلى الفحص والتأمل من النظر والاستدلال- ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل إلى معرفة الله وتوحيده إلا به- ولما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمنزل فيهِ، ولما في تقادح العلماء وإتعاجم القرائح في استخراج معانيه ورده إلى المحكم من الفوائد الجليلة، والعلوم الجمّة، ونيل الدرجات عند الله ولأن المؤمن المعتقد أنه لا مناقضة في كلام الله ولا اختلاف فيه إذا رأى فيه ما يتناقض في ظاهره وأهمه طلب ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد، ففكر وراجع نفسه وغيره، ففتح الله عليه وتبين مطابقة المتشابه المحكم ازداد طمأنينة إلى معتقده وقوة في إيمانه"⁽¹⁸⁾

الشبهة عن النسخ

زعم(جرجس) وغيره- (أن في القرآن آيات متناقضة يحتج المسلمون عنها بحجة النسخ ويدفعون ذلك بقولهم:

"إن الله أمر بأشياء كثيرة في القرآن إلا أنها نسخت بعد ذلك لعله أوجبت نسخها"⁽¹⁹⁾

تعريف النسخ: النسخ هو رفع التلاوة أو الحكم الشرعي أو هما معا بخطاب شرعي-

فالناظر في شبه المستشرقين حول موضوع النسخ يجدها ناتجة لعدم فهمهم لطبيعة هذا الدين، ولحكمة الشارع من النسخ- ونظرية النسخ لم ينفرد بها الإسلام العظيم وإنما ذكرت كذلك في اللاهوت اليهودي واللاهوت المسيحي ومع هذا لم نر واحدا منهم نسب الاضطراب للتوراة ولا للإنجيل-

فالتوراة مثلا نسخت أمورا كثيرة منها-

ذكر (سال) كلاما يوحى أن القرآن الكريم يقول بنسخ الأخبار حيث قال:

"وإن قلنا تساهلا أنها قد تجوز في الأحكام بالشروط التي ستقف عليها فلا تجوز في الأخبار أبدا، لأن الخبر لا يقبل النسخ، وإنما هو أمر جرى على وجه معين، فإن جعلته على وجهين مختلفين فلا بد من أن يكون أحدهما كاذبا"⁽²⁰⁾

هذا الكلام الموهوم أن في القرآن الكريم أخبارا نسخت مع أنه من المعلوم من أقوال العلماء سلفا وخلفا أن الأخبار لا تنسخ-

فهذا الإمام مكّي بن أبي طالب رحمه الله ينص على ذلك حيث يقول:
"فأما ما لا يجوز نسخه فهو كل ما أخبرنا الله تعالى عنه أنه سيكون أو أنه كان أو وعدنا به، أو قص علينا من أخبار الأمم الماضية، وما نص عليه من أخبار الجنة والنار، والحساب والعقاب، والبعث والحشر، وخلق السموات والأرضين، وتخليد الكفار في النار والمؤمنين في الجنة، هذا كله وشبهه من الأخبار لا يجوز نسخه لأنه تعالى يخبر عن الشيء على غير ما هو به، وكذلك ما أعلمنا به من صفاته لا يجوز في ذلك كله أن ينسخ ببدل منه، فأما جواز أن ينسخ ذلك كله بإزالة حفظه من الصدور ونعوذ بالله من ذلك، فذلك جائز في قدرته تعالى يفعل ما يشاء"⁽²¹⁾

وقال ابن الجوزي : فأما الأخبار فعلى ضربين:

الأول: ما كان لفظه لفظ الخبر، ومعناه معنى الأمر كقوله تعالى:

"لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ"⁽²²⁾

فهذا لاحق بخطاب التكليف في جواز فلا تعارض بين آيات القرآن الكريم لذا كان آخر وصية ابن عباس . رضي الله عنهما للرجل بقوله :

"فَلَا يَحْتَلِفُ عَلَيْكَ الْقُرْآنُ، فَإِنَّ كُلاًّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ"⁽²³⁾

ولكن أي اختلاف يظن وقوعه في القرآن فمرده لقصور فهم الإنسان وعدم قدرته على الجمع بين آيات الله سبحانه وهذا هو حال هؤلاء المستشرقين-

الشبهة في الحوادث التاريخية

نسب (سال) للقرآن الكريم الغلط في بعض الحوادث التاريخية وأسماء مشاهير رجالها وجهله من أمور الطبيعة ما لا ينبغي جهله- كل ذلك يدل على أنه ليس من الله في شيء-⁽²⁴⁾ وضرب لذلك مجموعة من الأمثلة منها :

"دعا مريم العذراء بنت عمران وأخت هارون وهي في الإنجيل بنت هالي وبين مريم العذراء وعمران أبي موسى ألف وستمائة سنة"⁽²⁵⁾

كما قلت في المثال السابق أن (سال) لم يأت بدليل صحيح واحد لزعمه سوى الإنجيل- والأنجيل فيها كذلك من الاضطراب الشيء الكثير حتى في نسب من ينبغي أن لا تخطئ فيه وهو عيسى عليه السلام وهذا واضح لكل مدقق فيها-فإنجيل متى مثلاً ذكره باسم يسوع بن يوسف النجار بن يعقوب بن متان ابن اليعازر- وإنجيل لوقا سماه يسوع بن يوسف النجار بن هالي- وغير ذلك من الأخطاء التي توسعت فيها في (باب المصادر) مما يفقدها الأهلية لأن تقف أمام دقة القرآن فيما جاء فيه من أخبار تاريخية على قلتها-

والقرآن الكريم لم يعتن بهذا الجانب التاريخي إلا بما يحقق غرضه من إنزاله للبشرية أن تكون للعبارة والعظة وأخذ دروس في الهداية منها لا غير- هذا كله من جهة-ومن جهة أخرى من الذي قال (لسال): إن القرآن يعتبر(عمران) أبا لمريم ولموسى عليهما السلام

-لا- بل العمرانان مختلفان وإن اتفقا في الاسم-

"فعمران أبو مريم عليهما السلام اسمه : عمران بن ماثان بن أعازار ابن أبي يود بن يوزن --- بن يهوذا بن يعقوب عليه السلام، وعمران أبو موسى وهارون عليهما السلام اسمه عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب عليه السلام وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة"⁽²⁶⁾

وكذلك على سبيل المثال فإنجيل متى اعتبر المسيح من أولاد سليمان بن داود أما إنجيل لوقا فاعتبره من أولاد ناثان بن داود-وإنجيل متى اعتبر آباءه إلى جلاء بابل سلاطين مشهورين أما لوقا قال إنهم ليسوا سلاطين ولا مشهورين غير داود وناثان- "وفي إنجيل متى عدد الرجال بين المسيح وداود ستة عشر رجلا أما في إنجيل لوقا فعددهم واحد وأربعون رجلا- وهكذا من الاختلافات والاضطرابات التي تفقد الأناجيل الثقة في أن تكون وثيقة تاريخية يرجع إليها"⁽²⁷⁾

وقد كان عمران أبو مريم . عليهما السلام . رجلا عظيما بين علماء بني إسرائيل وقد توفى وابنته ما زالت صغيرة، فكفلها زوج خالتها زكريا عليه السلام وهو المذكور في سورة آل عمران-لذا فما اعتمد عليه (سال) في تخطيط القرآن الكريم على أساسه ليس بحجة له- فيجب أن يدرك (سال) وزمرته أن القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الذي حفظ من التبديل والتغيير والأخطاء لأنه سيد الكتب وخاتمتها وقائد البشرية لنهاية الحياة الدنيوية وهو المحفوظ من الله عزوجل- لكن أنى للقلوب الحاقدة أن تدرك نور الإسلام وعظمة القرآن الكريم-

الشبهة عن فصاحت كلام القرآن

جاء بكلام يضاوي في فصاحته كلام القرآن كقصة سورة النجم-⁽²⁸⁾

زعمهم أن القرآن الذي يعتبره صاحبه معجزة في الفصاحة والبلاغة قد نفى بالتضمنين صفة الإعجاز عن كلامه- كما أن محمدا نفسه، هذه الافتراءات التي ذكرها (تسدال) خلاف الحقيقة والقرآن الكريم ينقضها- وقوله: إن قائل القرآن ما كان يرى أنه معجزة) قول عار عن الصحة، فالقرآن الكريم منذ أن نزل للعرب دعاهم للتوحيد وترك ما ورثوه من عقائد فاسدة، فلما لم يستجيبوا سفه أحلامهم، واستنارهم بكل عناصر التحدي واستدرجهم حلبة الصراع فعجزوا واستسلموا- قال تعالى:

"وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"⁽²⁹⁾

"فقد بلغ بهم الغيظ من مقالته حدا تركوا معه أحلامهم الراجحة، وخرجوا له عن طاعة عقولهم الفاضلة حتى واجهوه بكل قبيح --- فلما أعجزهم مزايا ظهرت لهم في نظمه وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ آية ومقاطعها -- وبهرهم أنهم تأملوه -- فلم يجدوا كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة ينكر شأنها، أو يرى أن غيرها أصلح منها أو أشبهه أو أحرى وأخلق، بل وجدوا اتساقا بمر العقول، وأعجز الجمهور"⁽³⁰⁾

فأعلنوا له بالإذعان والاستسلام واعترف عقلاؤهم أنه مما لا يقدر عليه البشر، واعترف عقلاؤهم أنه مما لا يقدر عليه البشر- "قال الوليد بن عقبة عند ما سمع شيئا منه من النبي . صلى الله وسلم (والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، وما يقول هذا بشر"⁽³¹⁾

أما ما ذكره (سال) من أن القرآن نفسه تضمن نفي صفة الإعجاز عن كلامه يريد من ذلك بعض الآيات التي يفهم معناها أو حملها على غير مرادها من ذلك قوله تعالى-

"وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا : قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" (32)

وهذه الآية هي مقولة النضر بن الحارث قالها عند ما جاء بأخبار ملوك فارس يقرأها على قريش زاعما أنها مثل ما يذكره محمد من قصص الأولين-

فقوله: "لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا"

"يدل على أنه ما شاء ذلك القول وما قال- فثبت أن النضر أقر أنه ما أتى بالمعارضة- وإنما أخبر أنه لو شاءها لأتى بها وهذا ضعيف- لأن المقصود إنما يحصل لو أتى بالمعارضة ، أما مجرد القول فلا فائدة فيه" (33)

فلو كانوا جادين وصادقين في دعواهم في استطاعتهم الإتيان بمثله لأتوا وكفوا أنفسهم مئونة القنا والحروب والدماء بسطر واحد كالقرآن العظيم، ولكنهم، لما لم يفعلوا ولن يفعلوا علم أن قولهم ادعاء لا رصيد له من الواقع-أما زعمه(أن محمدا نفسه جاء بكلام يضاها في فصاحته كلام القرآن) مستدلا على ذلك بقصة الغرائيق-

هذا الكلام خال من الصدق والصحة، والرسول صلى الله عليه وسلم لم ينسب شيئا منه لنفسه، فمع سمو كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث النبوي أو الأحاديث القدسية ورسالة ألفاظه وبلوغه قمة الفصاحة والبلاغة حيث هو الذؤابة من قريش وأوتي جوامع الكلم-

فمع هذا كله لا يمكن أن يصل لمستوى القرآن الكريم- فالقرآن معجزت الإنس والجن أن يأتوا بمثله- لكن الحديث النبوي الشريف إن أعجز عامة الناس الإتيان بمثله فلا يعجز بعض خاصتهم الإتيان بأسطر منه- خاصة إذا انضم له معين وظهير- فإن عجز مع الظهير والمعين فلن يعجز الإنس والجن مجتمعين- بعكس القرآن الكريم فلن يستطيع أحد من الإتيان بمثله ولو انضم بعضهم لبعض ظهيرا-

ولله در(الجاحظ) في وصفه لكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم: هو الكلام الذي قل عدد حروفه ، وكثر عدد معانيه، وجل عن الصنعة، ونزه عن التكلف استعمال المبسوط في موضع البسط، والمقصود في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن المهجين السوقي، فلم ينطق عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حفّ بالعصمة، وشدّ بالتأييد، ويسرّ بالتوفيق، وهذا الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه : وغشاه بالقبول، وجمع بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام، هو مع استغنائه عن إعادته ، وقلة حاجة السامع إلى معاودته، لم تسقط له كلمة، ولا زلت له قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبذ الخطب الطوال بالكلام القصير، ولا يلتمس إسكان الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتج إلا بالصدق، ولا يستعمل المؤاربة، ولا يهمز ولا يلمز، ولا يبطئ ولا يعجل، ولا يطلب الفلج إلا بالحق، ولا يستعين بالخلافة، ولا يسهب ولا يحصر، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً، ولا أصدق لفظاً، ولا أعدل وزناً، ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح عن معناه، ولا أبين عن فحواه من كلامه . صلى الله عليه وسلم (34)

ولا شك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان أفصح العرب ونشأ في بني سعد ابن بكر فأخذ عنهم الفصاحة والبلاغة ونال من هواء ديارهم صفاء الذهن وسلامة الفطرة-

إننا نجد كلام بعض الصحابة والتابعين مشابها للحديث النبوي الشريف حتى لنسمع الحديث فيشبه علينا أمره أمر فروع هو أم قول للصحابي أو التابعين-

أما القرآن الكريم فلا تجد له شبهة ولا مثيلاً، ولا يلتبس بغيره، حتى ليميزه الأعجمي عن غيره لميزاته الخاصة به- إن القرآن الكريم لو كان كلام محمد صلى الله عليه وسلم كالحديث الشريف لكان أسلوبهما واحداً لصدرهما عن شخص واحد، استعداده واحد، ومزاجه واحد، وقدراته واحدة، لكن الواقع غير واحد- فأسلوب القرآن ضرب وحده تظهر عليه سمات الألوهية التي تجل عن المشابهة والمماثلة، أما أسلوب الحديث النبوي الشريف فليس من هذا القبيل-

فهو يعلو أساليب البشر بجملته لا بتفصيله، ولا يستطيع أن يصعد إلى السماء إعجاز القرآن الكريم-⁽³⁵⁾

لو كان هذا القرآن من صنع محمد صلى الله عليه وسلم لما نسب هذا الفضل لغيره ليصل به إلى رقاب الناس وإخضاعهم له- لو صح هذا الزعم لعم عنه وانتشر ونسب إليه ممن كان يعرفه حق المعرفة ومن هو أصدق الناس به- ولا تستغل أعداؤه هذه المسألة ونشروها، لا سيما أنهم كانوا يتصيدون له أقل من هذا ليواجهوه به-

الشبهة عن إعجاز القرآن الكريم:

زعم (سال) أن مما يطل إعجاز القرآن الكريم أن فيه مضامين لا يمكن أن تكون مما أوحى به الله سبحانه واستدل على ذلك بعدة أدلة منها-

قوله تعالى :

"وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا"⁽³⁶⁾

فاعتبر (سال) أن هذا مخالف للعدل الإلهي لأن الله سبحانه لا يأمر بالفسق- فكيف يأمرهم ثم يهلكهم على ذلك فيكون هذا الإهلاك ظلماً-⁽³⁷⁾

الله سبحانه أحكم الحاكمين وأعدل العادلين منزه عن الظلم قال تعالى :

"ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ"⁽³⁸⁾

فالله سبحانه لا يصيب أحداً بعذاب دنيوي كان أو أخروي من غير إنذار على أبلغ وجه وأكده بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وذلك ليقيم عليهم الحجة وتنقطع الأعذار- قال تعالى:

"وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذَلَ وَنَحْزَى"⁽³⁹⁾

ومعنى الآية إذا تعلق إرادتنا بإهلاك قوم لإنفاذ قضائنا السابق، أو دنا وقته المقدر لأخذهم بأسباب الهلاك كثر فيها المترفون فأمرناهم بواسطة الرسول المبعوث إلى أهلها فخرجوا عن الطاعة، واستمروا في الفسق والعصيان، ولم يضربوا على أيديهم ولم يدمغوها، فسلطهم الله عليهم فعم الفسق والعصيان فحقت سنة الله سبحانه - وأصابها الدمار والهلاك، وأصحاب القرية هم

المسئولون عما حل بهم، لأنهم لم يضربوا على أيدي المترفين ويمنعوا فسادهم ويصلحوا من علاقاهم بالله سبحانه وكما هو معروف بالرحمة تخص والعذاب يعم- قال تعالى :

"وَأَنْتُمْ فِتْنَةٌ لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً" (40)

"وزعم (سال) أن مما يتنافى مع إعجاز القرآن شحنه بأمور محمد الشخصية، وكثيرا ما نزلت سور منه برقمها فيما لا يهم أحد غيره وغير أهله وقد ذكر على ذلك عدة أمثلة كسورة الأحزاب والتحريم والنور وغيرها" (41)

إن التركيز على ذكر الله سبحانه حياة نبيه الخاصة والعامة في القرآن الكريم ليس من أجل شخص النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لأن كل جزء من حياته صلى الله عليه وسلم تعتبر تشريعا فمن أجل ذلك كان التركيز على حياته الخاصة والعامة-

"فرسول الله صلى الله عليه وسلم قوله وفعله وتقريره يعتبر تشريعا، ولهذا كان أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواتي شاركنه حياته الخاصة به لا يكتمن شيئا منها ولا يخفينه، فإذا ما سئلت إحداهن عن أي جانب من جوانب حياته الشخصية صلى الله عليه وسلم يجنب السائل بكل صراحة ووضوح- مما يدل على فهمهن وتقديرهن لمسئولياتهن وواجباتهن ومعرفتهن أن حياتهن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ملكا خاصا لهن وإنما هي ملك للإسلام والمسلمين" (42)

الشبهة يبطل إعجاز القرآن وجود كلام مبتور في القرآن الكريم

زعم(سال) أن مما يبطل إعجاز القرآن وجود كلام مبتور في القرآن الكريم وضرب على ذلك بعض الأمثلة من ذلك قال في سورة الحج:

"إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ" (43)

قال (سال) : فهذه الآية تعاب من وجهين:

أ- أنه عطف فيها المضارع على الماضي فقال: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ"

"وكان الأفضل في هذا الموطن أن يقول(وصدوا)"

ب- " أنه لم يأت بخبر (إن) فلم يتم الكلام بل بقي سامعه منتظرا شيئا" (44)

بالنسبة للشبهة الأولى عطف المضارع على الماضي فقد أجاب عنها العلماء بأقوال منها-

أن يقال فلان يحسن إلى الفقراء ويعين الضعفاء لا يراد به حال ولا استقبال، وإنما يراد استمرار وجود الإحسان منه في جميع أزمته وأوقاته فكأنه قيل: إن الذين كفروا من شأنهم الصد عن سبيل الله-ونظيره قوله تعال:

"الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ" (45)

"عدها بعضهم من الالتفات من الماضي إلى المستقبل وبالعكس لحكمة وهي أن الكفر لما كان من شأنه إذا حصل أن يستمر حكمه عبر عنه بالماضي ليفيد ذلك مع كونه باقيا أنه قد مضى عليه زمان ، ولا كذلك الصد عن سبيل الله فإن حكمه إنما يثبت حال حصوله يعني بذلك فهو في كل وقت كافر ما لم يأت بالإيمان ولا كذلك الصد عن سبيل الله ومع ذلك فإن الفعل المستقبل فيه إشعار بالكثير فيكون قوله"

"ويصدون عن سبيل الله-مشعرا بأنهم في كل وقت كذلك"(46)

قدره(الزمخشري)بعد "الحرام" وتقديره: نذيقهم من عذاب أليم- حيث قال: وخير"إن" محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره: "إن" الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم- وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك"(47)

الشبهة أن القرآن فيه كلام زائد كثير يخل ببلاغته

زعم (سال)أن القرآن فيه كلام زائد كثير يخل ببلاغته ، أو يحيل المعنى إلى غير مراد قائله وضرب على ذلك أمثلة منها قوله تعالى :

(لا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ)(48)

في سورة القيامة وغيرها من الأمثلة-يشير (سال) إلى قول بعض المفسرين أن'لا' في قوله تعالى :

"لا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ-زائدة في الإعراب مع أنهاجيء بها للتأكيد"(49)

والحقيقة أنه لا يوجد في القرآن الكريم شيء زائد بمعنى أنه لا فائدة منه- فالقرآن الكريم منزه عن ذلك-

وقول المفسرين عن الحرف أو الكلمة أنها زائدة أو سيف خطيب أي من حيث الإعراب- ولكنه يحمل معنى، كالتأكيد أو تقرير شيء وهذا مسلم به عندهم-

فمثلا "لا" التي استشهد بها "سال" من سورة القيامة تعددت أقوال المفسرين فيها على أقوال:

أها صلة زائدة والمعنى (أقسم بيوم القيامة) وقد ضعف الرازي هذا الرأي لأنه يفضي بالظن في القرآن- والعرب تجعل "لا" صلة في كل كلام دخل في آخره مجد، أو في أوله جحد غير مصرح- فهذا مما دخل آخره جحد فجعلت (لا) في أوله صلة-(50)

الشبهة عن الخطاب إلى الغيبة والعكس

الالتفات من الخطاب إلى الغيبة والعكس وزعم(سال) أن تعيين ما تعود عليه الضمائر إذا تعددت في الجملة الواحدة كثير ، واعتبر هذا فاسدا-(51)

واستشهد على ذلك بعدة أمثلة منها:

قوله تعالى :

"أَفَعَيَّرَ اللَّهُ أَلْبَتَغِي حَكَمًا"(52)

وقوله تعالى: "هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَينَ بِهِمْ بَرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ"(53) وغيرها كثير-(54)

الذي دفع (سال) لإثارة هذه الشبهة أنه ورد في القرآن الكريم جملة آيات يكون الحديث فيها على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم أو غيره من غير تصريح بنسبتها لله سبحانه، أو أن يكون الأمر موجها من الله سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم فمن هذه الآيات ما ذكرها(سال) وغيرها كثير في كتاب الله سبحانه-

ولعل بعد (سال) عن الأساليب البيانية في اللغة العربية هو سبب إثارة مثل هذه الشبهة وأسلوب الالتفات معروف في العربية

قبل نزول القرآن-

هو نقل الكلام من أسلوب إلى آخر- أعني من التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى آخر منها بعد التعبير بالأول- وفوائده كثيرة منها :

١ . تطرية الكلام، وصيانة السمع عن الضجر والملل، لما جبلت عليه النفوس من حب التنقلات، والسآمة من الاستمرار على منوال واحد، وفي هذا تنشيط للسامع-

٢ . حث السامع وبعثه على الاستماع حيث أقبل المتكلم عليه وأعطاه فضل عناية وتخصيص بالمواجهة كقوله تعالى: "وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" (55)
فالتفت هنا من التكلم إلى الخطاب-
وكما قيل:

لا يصلح النفس إن كانت مصرفة
إلا التنقل من حال إلى حال

قال (الحازم) في (منهاج البلغاء):

وهم يسأمون الاستمرار على ضمير المتكلم أو ضمير المخاطب فينتقلون من الخطاب إلى الغيبة وكذلك أيضا بتلاعب المتكلم بضميره، فتارة يجعله ناء على جهة الإخبار عن نفسه وتارة يجعله كافا فيجعل نفسه مخاطبا، وتارة يجعله هاء فيقيم نفسه مقام الغائب- فلذلك كان الكلام المتوالي فيه ضمير المتكلم والمخاطب لا يستطاب، وإنما يحسن الانتقال من بعضها إلى بعض، وهو نقل معنوي لا لفظي:

١- أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائدا في نفس الأمر إلى (الملتفت) إلى المنتقل عنه، ولا يلزم عليه أن يكون في أنت صديقي التفات-

٢- أن يكون في جملتين- (56)

وهكذا نرى سرا من أسرار هذا الأسلوب العربي القديم، والأسلوب القرآني البديع الذي لم يدركه "سال" فعده أقوالا دخلت النص القرآني من صنعة بشرية تارة أو فسادا دخل النص تارة أخرى- وعذره في ذلك أنه جاهل بالأسلوب القرآني والعربي وإلا لما وقع في هذا الخطأ الفاضح-

الحاصل

وفي الختام نقول: إن أعداء القرآن- وخاصة المستشرقين- يحاولون إثبات أن القرآن الكريم من تأليف محمد- صلى الله عليه وسلم- أو أنه من وضع البشر، أو أنه نقل من غيره من التوراة والإنجيل والكتب السابقة، وقد اتخذوا لإثبات هذه الدعوى وسائل كثيرة، فعلى أن نبحت بدقة وعمق عن القرآن وعلومه؛ كي نرد على المستشرقين بالأدلة والبراهين، حتى يتحقق قول ربنا: "جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ" (57)

دراساتي القرآنية وتخصصي في المتشابهات أرى أنه لا فائدة من دراسة المتشابه مع اعتقاد وقوع الترادف في كتاب الله، وعلى من يدرسه أن يعتقد اعتقاداً جازماً أن لا ترادف في كلام المولى جل في علاه؛ إذ إن ذلك دليل على الحشو والزيادة، وهو صورة من صور النقص والعجز في التعبير، حيث يضطر الكاتب أو المتحدث أو الخطيب إلى استخدام أكثر من لفظ ليصل القارئ أو السامع إلى المعنى المراد من كلامه، وكتاب الله أجل من ذلك وأكبر، وحاشا وكلا أن يكون المولى جل شأنه وتعظمت كلماته بحاجة إلى ألفاظ تساعد وتسعفه لتحسين كلامه؛ سبحانه لا يتصف بالنقص والعجز اللذين هما من صفات البشر؛ لذا نحن مع من نفى وجود الترادف في كتاب الله وهم أكثر.

لأن الله دقيق، واختيار الألفاظ القرآنية بمواضعها ليس عشوائياً، والتقديم والتأخير في السياق القرآني ليس عبثاً- وإذا كنا ننكر على غير ذوي الاختصاص من أهل اللغة أن يخوضوا فيما لم يعرفوا من أسرار القرآن وبلاغته، فلنحن أشد إنكاراً على أولئك المستشرقين الذين عدوا الذوق العربي والحس اللغوي، وإشراق الروح وصفاء النفس أن يقحموا أنفسهم في ميدان ليسوا من فرسانه وأهله ليخرجوا على الناس بآراء في قمة الغرابة في إعجاز القرآن الكريم وفي الأسلوب القرآني البديع- ولهذا لفت نظري منذ مدة أنّ الكثير من أتباع الكاتب السوري محمد شحرور يدنون كثيراً على ما يظنونه اكتشافاً عبقرياً لشحرور، وهو قوله بامتناع وجود ترادف في القرآن الكريم، بل يعتبره بعضهم أهم ما في منهجه في فهم القرآن، أي منهجه في إعادة فهم الإسلام من جديد، والتوصّل إلى ما يخالف ما أجمع عليه الصحابة ومن بعدهم من أئمة اللغة والدين كتبت في نقد منهج شحرور في فهم القرآن تدوينة بعنوان "كيف يحرف محمد شحرور القرآن"- بل قد نسب محمد شحرور للإمام الشافعي وضع أسس "الإسلام الذي بين أيدينا اليوم" على حدّ تعبيره، زاعماً أنّ الفقه الإسلامي الذي وضع أسسه الإمام الشافعي قام على أساس وجود الترادف، وقال: "إذا ألغيت الترادف من التنزيل الحكيم فإنّ الفقه يُصاب في مقتل وينهار مباشرة!

تسعى هذه الدراسة إلى تبيان أهمية السياق في نفي الترادف في النص القرآني، انطلاقاً من مستويي الصوت و الدلالة، اللذين يمثلان الجانبين المادي والعقلي للغة- وذلك حيث تتكامل العلاقة بين الصوت و الدلالة، إذ تستدعي الدلالة نوعاً بذاته من الألفاظ، كما تعبر الأصوات عن نوع معين من الدلالات- ومن ثم يستهل البحث بمهاد نظري تأسيسي تقوم من خلاله بدراسة ظاهرة الترادف في القرآن الكريم بين الإنكار والإثبات، كما تقوم بدراسة العلاقة بين السياق و الدلالة، ثم تتوقف لدى لفظ القيامة في القرآن الكريم- أما الدراسة التطبيقية فتشمل دراسة: ألفاظ القيامة التي انفقت صيغتها الصوتية وتباينت دلالاتها، وألفاظ القيامة التي تقاربت دلالاتها واختلفت أصواتها-

- 1 - ابن منظور، محمد بن مكرم، جمال الدين، الافريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ج: 13، ص: 503 - 505
- 2 - ابن منظور، لسان العرب، ج: 6، ص: 202
- 3 - زبيدي، محمد بن عبد الرزاق، الحسيني، مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، دارالهداية، بيروت، ج: 36، ص: 413
- 4 - الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، 1988م، ص: 141
- 5 - مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، المعجم الوسيط، دار الدعوة، ط: الثالثة، ج: 1، ص: 499
- 6 - فوزي، فاروق عمر، الاستشراق والتاريخ الإسلامي، دار الكتاب العربي، القاهرة، ص: 30
- 7 - يعزى إلى الراهب الفرنسي جوبرت، الذي انتخب بابا للكنيسة سنة 999م أنه أول من درس علوم الشرق، وذلك في الأندلس، ثم تابع المرتحلون إلى الشرق حتى كان مجمع فينا سنة 1312م، الذي قرر إنشاء خمسة كراسي في جامعات غربية لتعليم اللغة العربية، وابتدأ فيه تنظيم وترتيب ما يسمى بالاستشراق. انظر: آراء المستشرقين حول القرآن الكريم ج: 1، ص: 25، الاستشراق والتاريخ الإسلامي، ص: 33
- 8 - ابن منظور، لسان العرب، ج: 9، ص: 114
- 9 - الانفال، 08: 09
- 10 - الزيايدي، حاكم مالك، الترادف في اللغة، العراقية الجمهورية، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، 1980م، ص: 33
- 11 - إسماعيل الطحان، كتاب دراسات حول القرآن الكريم، مكتبة الفلاح، الكويت، ص: 98
- 12 - الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، فخر الدين، مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ، ج: 10، ص: 202
- 13 - النساء، 4: 82
- 14 - الزمخشري، محمود بن عمر، جار الله، الكشف عن حقائق التنزيل و عيون الاقاويل في وجوه التاويل، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج: 1، ص: 546
- 15 - النحل، 16: 103
- 16 - آل عمران، 3: 7
- 17 - مصطفى محمود، أسرار عن القرآن ومقدمة على القرآن، دار المعارف، مصر، 2008م، ص: 35 - 44
- 18 - الزمخشري، الكشف، ج: 1، ص: 412 - 413
- 19 - مصطفى محمود، أسرار عن القرآن ومقدمة على القرآن، ص: 242
- 20 - مصطفى محمود، أسرار عن القرآن ومقدمة على القرآن، ص: 41
- 21 - مصطفى محمود، أسرار عن القرآن ومقدمة على القرآن، ص: 41
- 22 - الواقعة، 56: 79

- 23- البخارى، محمد بن اسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب تفسير القرآن، بَابُ قَوْلِهِ: وَتُفِيحُ فِي الصُّورِ، رقم الحديث: 4815، المكتبة الاسلامية، استنبول، تركى، 1979م
- 24- مصطفى محمود، أسرار عن القرآن ومقدمة على القرآن، ص: 44
- 25- مصطفى محمود، أسرار عن القرآن ومقدمة على القرآن، ص: 45
- 26- البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد، ناصر الدين، الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المكتبة الاسلامية، استنبول، تركى، 1979م، ص: 71
- 27- محمد علي النجار، قصص الأنبياء، دار الهدى، بيروت، ص: 373 - 374
- 28- مصطفى محمود، أسرار عن القرآن ومقدمة على القرآن، ص: 49
- 29- البقرة، 2: 23
- 30- الجرجاني، على بن محمد الشريف، دلائل الإعجاز، مكتبة لبنان، بيروت، 1978م، ص: 39
- 31- الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 585
- 32- الأنفال، 8: 31
- 33- الرازى، فخر الدين، التفسير الكبير، ج: 8، ص: 161 - 162
- 34- الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، مكتبة الإيمان، القاهرة، ج: 2، ص: 282 - 283
- 35- الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت، ج: 2، ص: 327 - 328
- 36- الإسراء، 17: 16
- 37- مصطفى محمود، أسرار عن القرآن ومقدمة على القرآن، ص: 52
- 38- آل عمران، 3: 182
- 39- طه، 20: 134
- 40- الأنفال، 8: 25
- 41- مصطفى محمود، أسرار عن القرآن ومقدمة على القرآن، ص: 53
- 42- طهماز، عبد الحميد، النبي وأزواجه في سورة الأحزاب، دار القلم، ص: 10
- 43- الحج، 22: 25
- 44- مصطفى محمود، أسرار عن القرآن ومقدمة على القرآن، ص: 72
- 45- الرعد، 13: 28
- 46- الزمخشري، الكشاف، ج: 3، ص: 10
- 47- ابن القيم، محمد بن ابي بكر، شمس الدين، كتاب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، دار نشر الكتب الإسلامية، كوجرانواله، باكستان، ص: 99
- 48- القيامة، 56: 1
- 49- مصطفى محمود، أسرار عن القرآن ومقدمة على القرآن، ص: 74
- 50- الفراء، يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور، الديلمي، معاني القرآن، ج: 3، ص: 137

- مصطفى محمود، أسرار عن القرآن ومقدمة على القرآن، ص: 75 -51
الأنعام، 6: 114 -52
يونس، 10: 22 -53
مصطفى محمود، أسرار عن القرآن ومقدمة على القرآن، ص: 49 – 75 -54
الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، دار التراث، القاهرة، ج: 3، ص: 314 -55
السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الفكر العربي، مصر، ج: 1، ص: 377 -56
الإسراء، 17: 81 -57

References

1. Ibn Manzur, Muhammad ibn Makram, Jamal al-Din, Afriqi, Lisan al-Arab, Dar Sader, Beirut, Lebanon, vol. 13, pp. 503-505
2. Ibn Manzur, Lisan al-'Arab, vol. 6, p. 202
3. Zubaidi, Muhammad ibn Abd al-Razzaq, al-Husayni, Murtada, Taj al-Arous from Jawaher al-Qamus, Dar al-Hidaya, Beirut, vol. 36, p. 413
4. Al-Razi, Muhammad bin Abi Bakr bin Abdul Qadir, Mukhtar Al-Sahih, Librairie du Liban, Beirut, 1988, p. 141
5. Academy of the Arabic Language in Cairo (Ibrahim Mustafa / Ahmed Al-Zayat / Hamed Abdel Qader / Muhammad Al-Najjar), The Intermediate Dictionary, Dar Al-Dawah, I: Third, C: 1, p: 499
6. Fawzy, Farouk Omar, Orientalism and Islamic History, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Cairo, p. 30
7. It is attributed to the French monk Joubert, who was elected Pope of the Church in 999 AD that he was the first to study the sciences of the East, in Andalusia, and then the travelers continued to the East until the Council of Vienna in 1312 AD, which decided to establish five chairs in Western universities to teach the Arabic language, and began to organize and arrange the so-called Orientalism. See: Orientalists' Views on the Holy Qur'an, vol. 1, p. 25, Orientalism and Islamic History, p. 33
8. IbnManzur, Lisan al-Arab, vol. 9, p. 114
9. Anfal, 09:08
10. Al-Ziyadi, Hakim Malik, Synonymy in Language, Iraqi, Publications, Ministry of Culture and Information, 1980, p. 33
11. Ismail Al-Tahan, Studies on the Holy Qur'an, Al-Falah Library, Kuwait, p. 98
12. Al-Razi, Muhammad bin Omar bin Al-Hassan bin Al-Hussein, Fakhr Al-Din, Keys to the Unseen, Al-Tafsir Al-Kabir, House of Revival of Arab Heritage, Beirut, 1420AH, vol. 10, p. 202
13. Women, 4:82
14. Al-Zamakhshari, Mahmoud bin Omar, Jarallah, Revealing the facts of revelation and the eyes of the sayings in the face of Taweel, Dar Al-Maarifa, Beirut, Lebanon, vol. 1, p. 546
15. Bees, 16:103
16. Al-'Imran, 3:7
17. Mustafa Mahmoud, Asr on the Qur'anand Introduction to the Qur'an, Dar Al-Maaref, Egypt, 2008, pp. 35-44
18. Zamakhshari, Scout, vol. 1, p. 412 . 413
19. Mustafa Mahmoud, Secrets about the Qur'an and Introduction to the Qur'an, p. 242
20. Mustafa Mahmoud, Asr on the Qur'anand Introduction to the Qur'an, p. 41
21. Mustafa Mahmoud, Asr on the Qur'anand Introduction to the Qur'an, p. 41
22. The Incident, 56:79
23. Al-Bukhari, Muhammad ibn Isma'il, Al-Jami' al-Sahih, Kitab Tafsir al-Qur'an, Chapter on Saying: And Blowing in Pictures, Hadith No. 4815, Islamic Library, Istanbul, Turkey, 1979AD

24. Mustafa Mahmoud, Asr on the Qur'an and Introduction to the Qur'an, p. 44
25. Mustafa Mahmoud, Asrar on the Qur'an and Introduction to the Qur'an, p. 45
26. Al-Baydawi, Abdullah bin Omar bin Muhammad, Nasir al-Din, Shirazi, Anwar al-Tanzil wa Asrar al-Ta'wil, Islamic Library, Istanbul, Turki, 1979, p. 71
27. Muhammad Ali Al-Najjar, Stories of the Prophets, Dar Al-Huda, Beirut, pp. 373-374
28. Mustafa Mahmoud, Secrets about the Qur'an and Introduction to the Qur'an, p. 49
29. Al-Baqarah, 2:23
30. Al-Jurjani, Ali bin Muhammad Al-Sharif, Evidence of Miracles, Lebanon Library, Beirut, 1978, p. 39
31. Al-Jurjani, Evidence of Miracles, p. 585
32. Al-Anfal, 8:31
33. Al-Razi, Fakhr al-Din, Tafsir al-Kabir, vol. 8, p. 161. 162
34. Al-Rafi'i, Mustafa Sadiq, History of Arab Literature, Al-Iman Library, Cairo, vol. 2, p. 282. 283
35. Al-Zarqani, Muhammad Abd al-Azim, Manahil al-Irfan fi 'Ulum al-Qur'an, Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut, vol. 2, p. 327. 328
36. Isra, 17:16
37. Mustafa Mahmoud, Secrets about the Qur'an and Introduction to the Qur'an, p. 52
38. Al-'Imran, 3: 182
39. Taha, 20:134
40. Al-Anfal, 8:25
41. Mustafa Mahmoud, Asr on the Qur'an and Introduction to the Qur'an, p. 53
42. Tahmaz, Abdul Hamid, The Prophet and his wives in Surat Al-Ahzab, Dar Al-Qalam, p. 10
43. Hajj, 22:25
44. Mustafa Mahmoud, Asrar on the Qur'an and Introduction to the Qur'an, p. 72
45. Thunder, 13:28
46. Zamakhshari, Al-Kashaf, vol. 3, p. 10
47. Ibn al-Qayyim, Muhammad ibn Abi Bakr, Shams al-Din, Kitab al-Mafa'id al-Mashoq al-'Ulum al-Qur'an wa 'ilm al-Bayan, Islamic Book Publishing House, Gujranwala, Pakistan, p. 99
48. Resurrection, 56:1
49. Mustafa Mahmoud, Secrets about the Qur'an and Introduction to the Qur'an, p. 74
50. Al-Farra, Yahya bin Ziyad bin Abdullah bin Manzur, Al-Dailami, Meanings of the Qur'an, vol. 3, p. 137
51. Mustafa Mahmoud, Asr on the Qur'an and Introduction to the Qur'an, p. 75
52. Al-An'am, 6: 114
53. Jonah, 10:22
54. Mustafa Mahmoud, Asr on the Qur'an and Introduction to the Qur'an, pp. 49-75
55. Al-Zarkashi, Badr Al-Din, Al-Burhan fi 'Ulum Al-Qur'an, Dar Al-Turath, Cairo, vol. 3, p. 314
56. Al-Suyuti, Abd al-Rahman ibn Abi Bakr, Jalal al-Din, The Battle of Peers in the Miracle of the Qur'an, Dar al-Fikr al-Arabi, Egypt, vol. 1, p. 377
57. Isra, 17:81